



الواقع والتوقع في شعر حسن السوسي

د/ ياسمينة محمد محمود عمر

(جامعة درنة فرع القبة _ كلية الآداب _ ليبيا)

تاريخ النشر: نُشر إلكترونياً بتاريخ ٢٠ أبريل ٢٠٢٦ م

الملخص :

تتناول هذه الدراسة ثنائية الواقع والتوقع في شعر الشاعر الليبي حسن السوسي، من خلال تحليل نماذج مختارة من دواوينه الشعرية، للكشف عن تجليات التجربة الشعورية بين معاناة الواقع وأحلام التطلع. وتهدف الدراسة إلى إبراز كيفية توظيف الشاعر لطاقاته الإبداعية في التعبير عن الشكوى من جهة، واستشراف الأمل والحلم من جهة أخرى. اعتمدت الدراسة على المنهج التكاملي، حيث مزجت بين التحليل الأدبي والقراءة النقدية، من خلال تقسيم الموضوع إلى محورين رئيسيين: الواقع (الشكوى)، والتوقع (الحلم). ففي محور الواقع، عالجت الدراسة مظاهر الشكوى في شعر السوسي، متبعةً تجلياتها في موضوعات متعددة مثل الوطن، والمشييب، والمرأة، والذكريات، والناس، والقلب، حيث عبّر الشاعر عن إحساس عميق بالألم والاعتراب. أما في محور التوقع، فقد ركزت على البعد الحلمي في شعره، حيث تتجلى تطلعاته نحو واقع أفضل من خلال رمزية الحلم المرتبطة بالوطن والمرأة والطبيعة والقدر والماضي. وتخلص الدراسة إلى أن شعر حسن السوسي يقوم على جدلية تفاعلية بين واقع مأزوم وتوقع حالم، حيث تتحول الشكوى إلى طاقة دافعة نحو الأمل، ويغدو الحلم وسيلة لتجاوز الإحباطات وبناء رؤية مستقبلية أكثر إشراقاً، مما يمنح تجربته الشعرية بعداً إنسانياً وجمالياً مميزاً.

الكلمات المفتاحية:

(الواقع والتوقع، حسن السوسي، الشكوى، الحلم، الشعر الليبي)

Abstract :

This study examines the duality of reality and expectation in the poetry of the Libyan poet Hassan Al-Soussi, through the analysis of selected poems from his collections, aiming to reveal the emotional experience that oscillates between the suffering of reality and the aspirations of hope.

The study adopts an integrative approach that combines literary analysis with critical interpretation, structuring the research into two main axes: reality (complaint) and expectation (dream). In the first axis, the study explores manifestations of complaint in Al-Soussi's poetry, highlighting themes such as الوطن (homeland), aging, women, memories, people, and the self, reflecting deep feelings of pain and alienation. In the second axis, the study focuses on the dimension of expectation, where dreams and aspirations emerge as symbolic expressions linked to the homeland, women, nature, fate, and the past.

The study concludes that Al-Soussi's poetry is characterized by a dynamic interplay between a troubled reality and a hopeful vision, where complaint transforms into a motivating force toward hope, and dreams function as a means to transcend frustration and construct a more optimistic future perspective, thus granting his poetic experience a distinctive human and aesthetic dimension.

Keywords:

(Reality and Expectation, Hassan Al-Soussi, Complaint, Dream, Libyan Poetry)

المقدمة :

الحمد لله الذي جعل للإنسان من غذاء لروحة ومن نظمه متنفساً لأهاته ومن بيانه جمالاً تصبو إليه نفسه، والصلاة والسلام على سيد الفصحاء وإمام البلغاء ، سيدنا محمد وعلى آله وصحابة ومن اقتفى اثره واستنى بسنته الي يوم الدين أما بعد .. إن افتقار المكتبات العربية عامة والليبية خاصة إلى دراسات الشعر الليبي ورواده الذين أسهموا في انتعاش الحركة الأدبية وخلصها من ركودها، لذلك كان الدافع الأول لاختيار الشعر الليبي مجالاً للدراسة الذي أتناول فيه بالتحليل شعر علم من أعلامه، أعني الشاعر حسن أحمد السوسي، وكان لا بد للباحثة في هذا العصر انه تفتحت فيه أفاق المعرفة وهذا الابداع ، لذلك كانت هذه الدراسة منصرفة الي قصائده باعتباره من أعلام الشعراء الليبيين. وتسليط الضوء على جانب مهم من شعريته التي لم تحظ بدراسات جامعية معمقة، وقد عنوته بـ(الواقع والتوقع) في شعر حسن السوسي.

وهذه الدراسة تفترض دراسة (الواقع والتوقع) في شعر الشاعر من خلال استجلاء شعره، كنماذج للدراسة، وتسعى لمعرفة كيفية استخدام الشاعر للطاقت الإبداعية واستنطاق ايحاءاتها التعبيرية مع عقد مقارنة مباشرة مع بعض الشعراء.

وما يعطى هذه الدراسة أهمية خاصة، ويؤكد ضرورة إنجازها هو جدتها في تطرقها لهذا الموضوع، كما أن ندرة الدراسات الحديثة حول هذا الموضوع يجعل مهمة البحث صعبة للغاية؛ لا نها تعالج موضوعا لم يعالجه الدارسون إلا في حدود ضيقة ولأنه أغلب ما كتب حول مفرق في المجالات والكتب ويحتاج الوصول اليه الغناء وجهتاً لأن أغلب ما كتب حوله قليل ونادر ويحتاج الوصول إليه إلى عناء وجد، ولكن تلك الصعوبات تؤكد مرة أخرى على أهمية هذه الدراسة ومدى حاجتنا إليها.

لطبيعة الدراسة الأدبية والتحليلية، فقد رأينا في المنهج التكاملي الذي يأخذ من كل منهج بطرق المنهج الأفضل لها، وجاءت هذه الدراسة في مقدمة ومبحثين وخاتمة.

أما المبحث الأول: الواقع (الشكوى):

يعرض هذا المبحث الشكوى في شعر الشاعر حسن السوسي، فيصور مدى الألم المسكون بداخله، إذ نسمع الشكوى من خلال عناصر وهي: الوطن، المشيب، المرأة، الذكريات، الناس، القلب.

أما المبحث الثاني: التوقع (الحلم):

يدرس هذا المبحث شعر الشاعر المعنى بالحلم، وقصائده التي تمثل أحلام اليقظة أو أحلام الحقيقة، فهو لا يترك أحلامه؛ بل يزرعها بين كلماته من خلال عناصر: الحلم والوطن، الحلم والمرأة، الحلم والطبيعة، الحلم والقدر، الحلم والماضي.

وقد أفادت الدراسة من بعض الدراسات الحديثة أهمها:

(الصورة الرمزية في الشعر العربي الحديث) – (نجاه عمار الهاملي)، والتجديد في شعر المهجر الدكتور أنس داوود، والزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام - عبد الاله الصائغ.

ولم يكن خالياً العمل من الصعوبات وفي مقدمتها نقص كبير في الدراسات الحديثة حول الشعر الحديث التي تتناول هذا الموضوع وتشير للظاهرة وتتعمق فيها.

وتتمثل مادة الدراسة لهذا الموضوع في شعر الشاعر بمجموعة دواوينه وهي على التوالي: (الرسم من الذاكرة، نوافذ، الجسور، تقاسيم على أوتار مغاربية، ألحان ليبية).

وقد عنيت الدراسة باختيار عينيّات قد لا تكون أحياناً متكافئة بين الدواوين، فهي عينيّات عشوائية حسب استجابتها للملامح المطلوبة لها، وقد تم اختيار نماذج من الشعر حسب ما يتطلب ذلك.

ولما كانت أعمال البشر مما يعتره النقص عن التمام، فإن هذا العمل عرضة للنقص والخطأ، فما كان من صواب فتسديد من الله، وما كان من خطأ فمنا، والله ولى التوفيق.

أولاً: الواقع (الشكوى):

الشكوى: هي المرض^١ والتوجع^٢ النابعان من الإحساس بالألم، إثر انكسار النفس، لفقدتها ما يمس جوهر الحياة من صحة وقوة وشباب..... الخ، مما يدفع المرء إلى التحسر على ما فقده، وبالتالي إلى الشكوى مما صار إليه أمره، قد

^١ لسان العرب، أبي الفضل جمال الدين بين مكرم بين منظور، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٠م مادة (شكا).

^٢ جبران مسعود، الرائد معجم لغوي، دار العلم للملايين، ط١، بيروت، ١٩٦٤م (الشكوى).

يفاجأ الإنسان بمواقف تشعر بالألم والتفجع، والشاعر ذو حس مرهف سرعان ما يتأثر بمحادثات الزمن، فتراه ترتفع آهاته من أبياته الشعرية التي يبثها شكواه من الموطن والمشيب، والمرأة، والذكريات، والناس، والقلب، والخطوب، والوحدة.

الوطن:

الإنسان بطبيعته موصول الوشائج بالأرض التي نبت عليها^٣، والعربي إنسان ينشأ وحبّه للوطن كبير، فيبدأ بحب بلاده التي ترعرع على أرضها، وتنسم هواءها، ليكبر هذا الحب ويصبح حباً كبيراً لوطنه كبير، فتكبر آماله في هذا الوطن الممتد، والشاعر أشد الناس إحساساً بالحب وإحساساً بالألم، خاصة ان كان الألم من هذا الموطن الذي أحبه، ويعد الوطن شيئاً مقدساً للشاعر يتغنى به في أشعاره فيقول:

غنيت للوطن العزيز قصائداً ... هي في شفاه شبابه أنعام
وسفحت دمك فيه يوم فراقه ... لولا الأسى وكانت الآلام^٤

حيث عومل العربي معاملة الغريب في بلاده العربية، ويرى بألم عينيه الغريب يجول في هذا الوطن، ويعامل معاملة الغريب، فأثر هذا الموقف في نفسه أيما تأثير، وثارت تأثرته، وتأججت مشاعر الألم في نفسه، فترجم هذا الإحساس الخاص العميق إلى صور لفظية فنية تتدفق منها الشكوى والألم فيقول:

إن غربوك فما نسيت دياره ... فلها بذاتك موضع ومقام
وطن لهجت بحبه وجلاله ... نقصانه في مقلتيك تمام
تبقى معالمه بأفكك صورة ... كالرسم اتقن خطه الرسام.
تغشى مرابعه وأنت مغضى ... وتعود عنها والرضى بسام^٥.

ولقد أحس الكثير من شعراء العرب بالغبية، ولكنها كانت بسبب هجرتهم عن أوطانهم، كما نجد ذلك جلياً واضحاً في شعر (شعراء المهجر)^٦، ونجده في بعض شعر للشعراء الليبيين في شعر الباروني^٧، وشعر أحمد رفيق المهدي التي يقول:

غريب يحن لأوطانه ... ويبكي على عصره الذاهب
رمته المقادير في موطن ... بعيد عن الخل والصاحب^٨.

كثيراً من الشعر العربي الذي يعج بالشكوى من الغربة، مما لا يسعنا المجال هنا للحديث عنه وهو يختلف عن معاناة الشاعر حسن السوسي وشكواه من هذه التجربة التي مرت به، ولكي يثبت صحة انتسابه للعروبة وقريه منها يصرخ قائلاً:

يا أمتي، يا أمة الامجاد ... يا سندي.. ورفدي
أن الأوان لتلتقي ... في وحدة تبني وتسدي

^٣ داود أنس، التجديد في شعر المهجر، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلام، ليبيا، ط٢، ١٩٨٠م، ص ١٧١.

^٤ المصدر نفسه، ص ١٧٢.

^٥ ديوان الرسم من الذاكرة، ص ١٩٣.

^٦ ديوان الرسم من الذاكرة، ص ١٩٣.

^٧ انس داوود، التجديد في شعر المهجر، ص ١٧١، وما بعدها.

^٨ ينظر، جبران، محمد مسعود، سليمان الباروني، آثاره، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ١٩٩١م، ط١، ص ٥٢، ٤١.

^٩ بينتظر التليسي، محمد خليفة، رفيق شاعر الوطن، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٨م، ط٨، ص ١٣٧.

لغة الخطاب عرفتها ... فتعلمي لغة التحدي
إن الحياة تعايش ... إن تخلُّ من عنت وحقد
فاستعرضي التاريخ واد ... تفضي بما يهدى ويجدي
وضعي خرائطك الجديدة ... للزمان المستجد
واستأصلي ورم الشقا ... ق فإنه يعدي ويردي
تبقى الشعوب وصوتها ... صوت الإرادة والتحدي^{١٠}.
إنه يبدأ النص بالنداء (يا امتي، يا أمة الامجاد)

ويوجه الخطاب للأمة بالفعل الأمر (فتعلمي لغة التحدي)، ويستخدم أداة الشرط (إن) الحياة تعايش - إن كل من عنت وحقد، ثم يعود إلى الفعل الأمر في قوله فاستعرضي، واحتفظي، وضعي، واستأصلي ورم الشقاق، ذكر الشاعر هذه المقومات، لكي يبرهن على صدقه و إخلاصه لهذا الوطن، وهو يفخر بالقيم الأصالة والجديد.

ولا يخفي ما في هذا الأسلوب الإنشائي القوي البليغ من توكيد مرارة الشكوى على تفرقة العرب وضرورة الوحدة. انه يشكو هذا التباعد الذي تعيشه الأمة العربية ويطرح مشكلة يعاني منها العرب، وحتى تلك الحدود المصطنعة التي تقف في وجه مصالح الأمة العربية، وكان يجدر بهم أن يقفوا صفاً واحداً ضد عدو واحد ففي قصيدة (عروبة) يقول:

مد الجسور لهذا الوصل آذار ... فبيتنا اليوم - أنعام وأنوار
على الثغور ابتسامات منورة ... وفي القلوب أوار الحب شعار
وفي العيون لمحنا ما سكن لنا ... تلك السرائر فالإضمار اظهر
مكذب غربة لم تعتمد سندا ... أن العروبة أوطان وأقطار.
من قال: إنا أقاليم مُحددة ... قلنا: ونحن وراء الحد تيار
أليس إلا المآسي الحمر تجمعنا ... بلى وتجمعنا الأفراح والنار
تلك الأواحد لا التحديد يحجبها ... ولا تغييبها حجب وأسوار^{١١}
ويؤكد الشاعر على وحدة العرب باسترجاع الماضي المجيد لهم في ظل الإسلام.

همنا الآن وحدة تجمع العرب ... بكل الأشكال والألوان
من يكون اليهود لو جمعنا ... قوة العزم، واتحاد الجنان؟
هاجس العرب أن نرى قومنا العرب ... يعودون - مرة - للطعان
ويعودون قوة تتحدى ... في شموخ ضراوة الطغيان
أين منا الأولى مشوا فوق هذا ... التراب في ظل راية القرآن؟
أين فيا أولئك النقر الأتون ... في عقبة وفي حسان^{١٢}.
يقول في القصيدة أخرى يؤكد على الترابط وعلى الوحدة الدم والدين.

نحن أهل ولئن شد ... طت بنا الدار مقاما
قربتنا وحدة الأم ... ة، والدين اعتصاماً

^{١٠} ديوان الجسور، ص ٤٣، ٤٤.

^{١١} ديوان الجسور ص ٢٣-٢٤

^{١٢} تقاسم على أوتار المغاربة ص ٤٤ ٤٥ ٤٦.

واحتوانا الفن والاد ... اب عقداً انتظاماً^{١٣}.

٢. المشيب:

وهو من فعال الزمن، ويحدث جرحاً داخلياً في النفس، فهو بداية الطريقة الى الشيخوخة، ونذير الموت، والعمر الذي تمتع عنه لذات الحياة والمشاركة في حياة الناس^{١٤}، وقد ذكر القرآن مراحل عمر الإنسان^{١٥}، وأشار الى التغيرات النفسية والجسمية التي يستشعرها الإنسان بتقدمه في العمر، قال تعالى: "الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير"^{١٦}.

ولما كان المشيب هو العلامة الظاهرة لهذا التغيير في حياة الإنسان، فإن لفظه يستخدم للدلالة على جميع المراحل التي تعقب تولى الشباب، لذلك كان المشيب محنة إنسانية^{١٧}، يذكرها الشعراء في أشعارهم منذ فجر الشعر، إما بالتحسر على الشباب الضائع، أو بزم المشيب والشكوى منه، فما هو الأعشى يسجل معاناته مع المشيب:

ورأت بأن الشيب جا ... نبه البشاشة والبشارة

فاصبر فإنك طالما ... أعملت نفسك في الخسارة^{١٨}.

أما ابن الرومي فهو يرى في ذهاب الشباب فجيرة يعزى من أجلها:

أفجع بالشباب ولا أعزي ... لقد غفل المعزي عن مصابي^{١٩}

ويقول:

قد يشيب الفتى وليس عجيباً ... أن يرى النور في القصيب الرطيب

سأءها أن رأت حبيباً أليها ... ضاحك الرأس عن مفارق الشيب^{٢٠}.

والمتنبي رأى في المشيب ضعفاً غير محتشم:

ضيفاً ألم برأسي غير محتشم ... السيف أحسن فعلا منه باللهم

أبعد بعدت بياضاً لا بياض له ... لأنت أسود في عيني من الظلم

بحب قاتلتي والشيب تغذيتي ... هو اى طفلاً وشيبي بالغ اللحم^{٢١}.

ويتحسر الرصافي على الشباب فيقول:

واها على شرخ الشباب المشتهي ... خلف ذكراه بقلبي ومضى

وانما العمر شباب فاذا ... زال فحزن وشقاء وضني

ما كل أحلى العيش لو أن الفتى ... لم يجد الشيب إليه متخطي

ويح الشباب فتك الشيب به ... إذ لاح كالسيف عليه منتهي

^{١٣} ديوان تقاسيم على أوتار المغاربة ص ١٠٣.

^{١٤} ينظر الصائغ، عبد الاله، الزمن عند الشعراء العرب قبل الاسلام، عصمي للنشر والتوزيع، القاهرة، ط٣، ١٩٩٦م، ص ١٥٨.

^{١٥} سورة غافر الآية (٦٧) (هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا اجلا مسمى).

^{١٦} سورة الروم الآية (٥٤).

^{١٧} ينظر محجوب، فاطمة، قضية الزمن، دار المعارف، مصر، دط، دت.

^{١٨} شرح ديوان الاعشى الكبير، مناصر الحق، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٧، ١٩٩٢.

^{١٩} ديوان ابن الرومي، حسين نصار، دار مطبعة دار الكتب، الدار البيضاء، ١٩٧٣م.

^{٢٠} ديوان ابن الرومي.

^{٢١} ديوان المتنبي، دار صادر، بيروت، دط، دت.

أوليت هذا الشيب إن كان ولا ... بد من الشيب أتى قبل الصبا^{٢٢}.
 والشاعر حسن السوسي كما تبين بعض نصوصه يتذكر أيام الشباب ويتحسر على ذهابها:
 وذكرت أيام الشباب وطيبها ... فإذا بقلبي فثقل أسبابات
 طوفت في دنيا الخيال بخاطري ... ورجعت حين توافد العرسان^{٢٣}.
 كما يتحسر على ذهاب الشباب وعلى ظهور الشيب في الرأس:
 أتيناك بالشوق يا قيروان ... ولكن أتيناك بعد الأوان
 فقد زهر الشيب في المفرقين ... وأخفت بريقها القلقات^{٢٤}
 كما يتضح في نصوصه انه يخشي المشيب^{٢٥}، ويتحسر على الشباب الضائع^{٢٦}، ويشكو رحيل الشباب وتوديعه^{٢٧}،
 ويرى في ظهور الشيب الضعف والثقل^{٢٨}، ويرى في المشيب سبباً في غروق المرأة عنه وهجرها له^{٢٩}، وقد يرى في
 الشيب وقاراً^{٣٠}، وقد يرى أن الشيب يعجب المرأة^{٣١}.
 والشاعر يتحسر على الشباب الضائع:

صحونا، بعد إغراق ... لنا في الجهل والغمر
 ونبهنا المشيب الى ... هنات الدهر والغير
 وأز عجنا كمثل الطم ... ير في دوامة الخدر
 فصرت اليوم لا اشتا ... ق غير الأنس والسمر
 فوا اسفي على ما ضا ... ع في لا شيء في عمري^{٣٢}.

والشاعر خليفة التليسي يتفق مع شاعرنا في تحسره على الشباب الراحل، في صورة رمزية لأيام شبابه، فلم يبق منها
 سوى الذكريات:

لم يبق من أيامه إلا الروى ... تروى لنا ما كان من سلطانه^{٣٣}.

فالألم والشكوى واحدة والمشيب هو القاسم المشترك للألام الشعراء.
 إن الشاعر يشكو رحيل الشباب وبيكيه، فالمفقود ليس شيئاً غير ذي بال، إنه الشباب الذي أحر البكاء،^{٣٤} فما بكت العرب
 شيئاً مثلما بكت الشباب وما بلغت به ما يستحقه^{٣٥}،

^{٢٢} ديوان معروف الرصافي، دار العودة، بيروت، ١٩٧٢م، مجلد اول.

^{٢٣} ديوان الحان ليبيية، ص ١٢٤.

^{٢٤} ديوان تقاسيم على أوتار المغاربة ص ٦١.

^{٢٥} الحان ليبيية، ص ٥٨ ٥٩.

^{٢٦} ديوان نوافذ، الدار العربية، ليبيا، ط١، ١٩٨٧م.

^{٢٧} الرسم من الذاكرة، ص ٣٨.

^{٢٨} الرسم من الذاكرة، ص ١٥٥، ١٥٦.

^{٢٩} الجسور ص ١١٢، ١١٣.

^{٣٠} الحان ليبيية، ص ٢٨٣.

^{٣١} الرسم من الذاكرة، ص ٤٤.

^{٣٢} ديوان نوافذ، حسن السوسي، الدار العربية، ليبيا، ط١، ١٩٨٧م.

^{٣٣} ديوان خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٩م، د.ط.

^{٣٤} الصانع عبد الاله، الزمن عند الشعراء العرب، ص ١٦٢.

^{٣٥} محمود، فاطمة، قضية الزمن، ٨

فبرحيل الشباب تغيم الصور عنده ويذهب مرح الشباب وتوديع الشبيبة والصبا ونسيان ليل الانس والاسماء^{٣٦}، و يفقد الشباب القوة والحيوية ودب في ركبتيه الضعف والثقل^{٣٧}، الذي كان سابقاً إليه. وهو يرى في رحيل الشباب وظهور الشيب عزوف النساء منه ونفورها منه يقول:
والأفماذا قد يروق لكاعب ... بأشمط في ستين مثلي معربد
نعلم إنها الدنيا التي بصروفها ... رمتها، وقادتها إلى شر مورد^{٣٨}.

٣. المرأة:

إن محاور شكوى الشاعر تتعلق بعضها البعض، ويصعب فصلها، فالمشيب متعلق برحيل الشباب وأيام اللهو، ويسبب المشيب يحس بدنو الأجل وبالتالي نفور المرأة التي يحبها^{٣٩}. لذلك يسجل الشاعر ما يلقاه من المرأة من تعنت و صلف و غرور:

فما هي قد اعارتنا اهتماماً ... وزادت في التفصعن* والدلال.
وكانت حينما كنا شباباً ... تتمنى نفسها هي بالوصال
رضينا بالحديث وبابتسام ... وما رضيت، فويلي من نوال
ونعلم أننا لسنا لديها ... وقد شخنا سوى بعض العيال
وكم كنا نورقها فتشقى ... وتنتظر الوصال بلا ملال
إذا صدت فلم تعتب عليها ... قطيع الغيد من طبع الليالي^{٤٠}.

وتتضاعف بذلك شكواه لصدودها فهي التي ابتدأت بهذا الصدود ويناشدها إلى العودة الى سابق عهدهم من البهجة والموودة:

فأنت ابتدأت بهذا الصدود ... وكنت لأمالنا صارمة
فهل ستعودين يا حلوتي ... كما كنت شفافة ناعمة
وترجع بهجة أيامنا ... وتبقى مودتنا دائمة^{٤١}.

والشاعر حسن السوسي يتردد في شعره صدى لشكواه من المرأة، حيث تشده إليها بقوة مرة لترده عن ذلك مرة أخرى، فيصفها بالجمال تارة، وبالغدارة تارة أخرى، فتقابله بالبرود، والهجر والعناد فلنسمعه يشكوها قائلاً:

أجوع إن غبت عني فإن رأيتك أشبع
فأنت بالناس طراً وأنت بالكون أجمع
لكن طبعك مرُّ فمك كم أتجرع
إن غبت كنت فظيماً وكنت إلى عدت أفضع^{٤٢}.

^{٣٦} ديوان الرسم من الذاكرة، ص ٣٨.

^{٣٧} ديوان الرسم من الذاكرة، ص ١٥٦.

^{٣٨} ديوان الجسور، ص ١١٣.

^{٣٩} انظر الصانع، عبد الاله، الزمن عن الشعراء العرب، ص ١٥٨.

* التفصعن معناها في اللهجة الدارجة الليبية (الزهور والكبر والدلال واللامبالاة)

^{٤٠} ديوان الرسم من الذاكرة، ص ١٢٨.

^{٤١} الديوان نفسه، ص ٢٥.

^{٤٢} انظر مجلة الفصول الأربعة ع ٦٤، ٦٥، ١٩٩٣م، ص ١٩.

والحبيبة التي يشكوها امرأة غربية في أطوارها وطباعها فهي تتراوح معه بين الهجر والوصل، وهي لا تشاركه عواطفه وأحاسيسه، لذلك فهو يزداد ولوعه بها. وهو في حيرته تلك يشبه التليسي الذي تلازمه الحيرة فيقول:

فلا الصراعة على من شكليتها ... ولا الشراسة بالإدمان تغريها^{٤٣}

إن الحبيبة التي يشكوها امرأة غربية في أطوارها وطباعها فهي لا تقترب منه ولا تشاركه عواطفه، وإن عفته هي التي تمنعه من الاقبال على المرأة، فهو في صراع معها بين الوصيلة والقطيعة:

أطلت من صياصيها المنيعة ... وحيثنا ببسمتها الوديعة

فزهري في الجوانح ألف غضن ... ودق القلب دقاق سريعة

فيا نجماً تدلى من علاه ... وكنا قبل نجلى سطوعه

وتعجبني مراوحة العذارى ... بنا بين الوصيلة والقطيعة

وقلبي في الهوى صعب عصي ... وبعض الهجر قد يذكر ولوعة^{٤٤}

وتبعث المرأة به فتزيد من لوعته وشكواه وألمه أو يصور بذلك عذابه في صبر وهجرانه لها:

أحببتها جهراً ونجوى ... وعشقتها شكلاً وفحوى

حبي لها مرة كل ما ... جربته أعتى وأقوى

أنزلتها قلبي فكان ... لها مدى رحباً ومثوى

سلى لنا أقل ولا ... أمل لنا من دون سلى^{٤٥}

لذلك يستمر الشاعر في شكواه من تقلب حالها، ويصرخ شاكياً حاله وحرمانه من وصلها فيقول:

فيا من جرحت ولم تضمدي ... ويا من فتقت ولم ترأبي

عديني بوصلك أو فامنعي ... وجلي جمالك أو فأحجبي

فإني أراك بعيني التي ... بها أنت -كالأمس- لم تعزبي

وإتى محب لوجه الجمال ... بلا مطمع، وبلا مأرب^{٤٦}

لقد قطع الشاعر أشواطاً وراء المرأة، بحسب دواوينه، يستدر عطفها ورضاها، ولكنها تكتفي دائماً بأن تحرك. كوامن نفسه لتتركه بعد ذلك لمعاناته وشكواه:

إنما الحب عذاب للمحبين أليم

منه في قلبي شجوب وندوب وكلوم

ليس يشفي منه إلا اللثم، والضم الحميم

فاذا جادت بشيء ولقد يسخو الكريم

فلها الشكر المثنى ولنا الفوز العظيم^{٤٧}.

ويكب الشاعر مشاعره وعواطفه أحياناً حفاظة على كبريائه.

هذه الازدواجية بين الحب والكبرياء أو الحب والفضيلة نجدها أيضاً عند الشاعر عمر أبو ريشة:

^{٤٣} ديوان خليفة التليسي، ص ٧٤.

^{٤٤} ديوان الرسم من الذاكرة، ص ٣٩، ٤٠.

^{٤٥} ديوان الرسم من الذاكرة، ص ٢٧.

^{٤٦} الديوان نفسه ص ٤٣ / ٤٤.

^{٤٧} الرسم من الذاكرة، ص ٢٩.

وتسأليني اما يريحك ... ما اجيبك لست أدري
غالبت غوايتي ... فخسرت فيها كل كبري^{٤٨}.

إن عفة الشاعر حسن السوسي سبب آخر لشكواه وحرمانه، لذلك كانت شكواه من خضوعها فصرح محرصاً إياها أن تتخلى عن الجمود الذي يلقيها منها:

أحبك عابسة - باسمه ... وأهواك عادلة - ظالمة.
وأعشق هذا الجمال الوديع ... وتأسرني المقلة الحاملة
فهل من سبيل إلى قبلة ... تطف اشواقي العارمة
وهل من سبيل إلى ضمة ... تنبه أحلامي النائمة
فعيناك، عيناك يا حلوتي ... سماء ولكنها غائمة^{٤٩}.

وهو يقابل منها باللامبالاة، فتخفي عنه مشاعرها تاركة إياه بين هواجسه وآلامه، غير عابئة بما يلقيه من تعنت وصفائها، مما يزيد من شقائه وشكواه:

يا ليتها تبلى بما ... عندي، ويسري منه عدوي
أوليتها بشواظ ما ... أصليته تصلى وتكوى
فنكون كفتاً في السعادة ... أو معاً، إن كان بلوى
أشقى المحبين الذي ... يهوى ولكن دون جدوى^{٥٠}.

٤. الذكريات:

تشكل الذكريات ضغطاً شديداً على نفسية الإنسان، يحن إليها من حين إلى آخر، ومن شدة ما يستشعره من حب لرجوعها يرى فيها مقام أطيّب حبذا لو رجع يقول:

ذكرياتي فيه ما أمتعته ... لو تعيد الذكريات المتعا
ومقامي فيه ما أطيّبه ... حبذا، يا حبذا لو رجعا
قد أوانا أسرة واحدة ... فألفناه لنا منتجاً^{٥١}.

ويسترجع الشاعر الذكريات ويقول في تذكرها يتأكد الإيمان:

اليوم بنغازي تآلق عرسها ... وتوافد الأحباب والأخوان
لم أنسها لم أنس ما مرت به ... روي وما من شيمي النسيان
ردت لنا عهد الشباب فأورقت ... أغصاننا، وأخضوضر الوجدان
فلها علينا أن نشيد بذكرها ... فبذكرها يتأكد الإيمان
تمضي السنين بخلوها وبمرها ... والباقيات الأرض والإنسان^{٥٢}.

ويقول:

رُدّي شريط الذكريات لتعرفي ... عزم الجدود، وهمة الآباء

^{٤٨} عمر ابو ريشة، إيليا الحلوى، دار الكتاب اللبناني، ط٢، ١٩٨١م.

^{٤٩} ديوان الرسم من الذاكرة، ص ٢٥.

^{٥٠} الرسم من الذاكرة، ص ٢٧ - ٢٨.

^{٥١} تقاسيم على أوتار مغاربية، ص ٦٧-٦٨.

^{٥٢} الحان ليبيية، ص ١٨٦-١٨٧.

إن الذين على الوثام عهدتهم ... طلوعوا على الدنيا بألف لواء^{٥٣}.
إن النسيان نعمة من عند الله، والشاعر يريد أن ينسى كل ما يمثل ذكرياته الموجهة، فقد وطن النفس على نسيانها،
وتذكرها بمثابة فتح جراح ضمدت فيقول:

ضمدت جراحتي ولم ... لمت التشعب في عظامي

فنسيت الامى بما ... سكبته من حلو الكلام

ولكنها قد أحدثت... شرخاً يعز على الضمام

فشفيت من أثر الضني ... ومرضت من أثر الغرام^{٥٤}

ولكن شكواه لا تقف عند ذكرياته تلك، بل هناك واقع يعيشه ويحسه، ولا يستطيع التخلص منه، لأنه جزء منه ومن
حياته، ذلك الواقع هو دخوله إلى مرحلة زمنية بأباها، ولا يريد الإذعان لها، وفي نبرات الشاعر تحسر، وألم مكبوت
من الواقع الذي أيقظه من حلم جميل، إنه يشير هنا الى ذكريات شبابه فيقول:

شاهتها، فتذكرت حين رأيتها ... عشرين كالأطوار، كالآماد

عادت بي الذكرى إلى زمن به ... ماكنت أملك في الأمور رشاد

بعثت بي الشوق القديم وأيقظت ... صبوات عمري من عمق رماد^{٥٥}

ونجد الشاعر يهرب من الواقع بالرجوع إلى الذكريات فيقول:

يا هضاب الجولان، يا سيناء ... ذكريني - فإني نساءً

أفما كان لي إليك انتساب ... أفما كان لي إليك انتماء

وصلتنا وشيخة العرق والدين ... وأنا في كل شيء سواء^{٥٦}

وقد يجد الشاعر في النسيان ملجأً له ومبرراً لرد فعله فيقول في قصيدة (النسيان):

أنا لا أفكر فيك يا ... من لا تفكر في نجاتي

لا، لن أشرد بين ما ... ضن قد كفرت به، وآت

فاحلم بما تبغيه الأ ... أن تعود إلى حياتي

إني نسيته، يا نسي ... ست، نسيت حتى ذكرياتي

وأكاد من فرحى بنسيا ... ني أقول: نسيت ذاتي^{٥٧}.

والشاعر يتذكر ويتحسر على زمن مضى من عمره، إنه يستشعر واقعه ويواجهه فيقول:

أتيتك يا شاطئ الذكريات ... ألملم جرحي على سره

وكم من غريق هوى ما يزال ... يحن -اشتياقاً- إلى بحره

أتيت على موعد قد مضى ... وهلل شهر على شهره

فيا ليتني جننت في مده... ولم أتأخر إلى جزره^{٥٨}.

^{٥٣} الجسور، ص ٥٦.

^{٥٤} الحان لبيبة، ص ١٤٨.

^{٥٥} الرسم من الذاكرة، ص ١٠٠.

^{٥٦} الجسور، ص ٧٩.

^{٥٧} الحان لبيبة، ص ٢٧١.

^{٥٨} تقاسيم على أوتار مغربية، ص ١٠٩-١١٠.

والشاعر يجد نفسه مضطراً إلى الهروب من الواقع، بالرجوع إلى الذكريات فيقول في قصيدة (إلى نواكشوط)، وهفوات الشوق للحبيب:

داع من الشوق في أعماقنا هتفا ... ومستبد بنا من ريحهم عصفاً
أحبابنا نزلوا من حبنا وسطاً ... وان هموا سكنوا من ارضنا طرفاً
نصفو إليهم، وتشجينا منازلهم ... إن المحب إذا عن الحبيب هفاً
كم عاشق يتمنى حين يذكرهم ... لو طار نحو "نواكشوط" او زحفاً
وكم على ذكرهم، عفنا مضاجعنا ... شوقاً، وكم في هواهم دمعنا ذرفاً
ظلوا لنا هاجساً ما زال يشغلنا ... ويستبد بأعماق النهى شغفاً^{٥٩}.

وهذا المنزع عند شاعرنا نجده أيضاً عند شعراء المهجر، الذين حطمتهم الغربة، وثلت قواهم، وتركتهم عاجزين لا يستطيعون شيئاً، سوى التذكر.
يقول رشيد أيوب:

جلستُ بقرب شباكي ... أردد طيب ذكراك
وأطوي بيد أحلام ... كسبت فيها مطاياك
وإذا خطرت على بالي ... أوبقاتي وإياك
ورحت أعاتب الدنيا ... جلستُ بقرب شباكي^{٦٠}.

والشاعر حسن السوسي يجعل من الذكريات تنبيه من زمن النسيان في عهد الرواق والطيبية عهد الشباب الناعم الجميل فيقول في قصيدة (شاعر الجبل)*:

يامن بعثت الذكريات بخاطري ... نبهتني من غفوة النسيان
عد بي إلى عهد الرواق* والطيبية ... عهد الشباب الناعم الفينات
ذاك الزمان برغم حدة طبعه ... وجفاه كنت تراه غير مدان
فهو الذي صقل الغرائم وقده ... صقل المهند في لظى النيران
وأنا في والوجدان ألف منارة ... سطعت بنور العلم والقرآن^{٦١}.

٥. الناس:

اعتاد الناس كما تبين تجارب الشاعر شكواه، أن ينكروا على المرء مشاعره، حتى إذا لقي حقه بسبب ذلك، ولا يجد فيهم خيراً ويشكو طباعهم التي جبلوا عليها:

أناس ما هي ناس ... ولا يرجون في كرب
فلا ثبتوا على حال ... ولا اتفقوا على درب
إذا صح ادعائهم ... ونسبتهم إلى العرب
فهم أحفاد عاد والـ ... ذين نجوا من الحصب

^{٥٩} تقاسيم على أوتار مغاربية، ص ١٤١-١٤٢.

^{٦٠} ديوان رشيد أيوب، دار صادر، بيروت، ١٩٥٩م.

* شاعر الجبل هو الشاعر المرحوم الشيخ حسين لحلافي، وقد أقيمت هذه القصيدة من الذكرى السابعة والعشرين لوفاته بمدينة البيضاء.

* عهد الرواق: إشارة إلى رواق المغاربة الذي كان ينتمي إليه في الأزهر الشريف.

^{٦١} الرسم من الذاكرة، ص ٢١٧.

وهم أحفاد من نشروا ... حديث الإفك والكذب
ومن ورثوا مسيلمة ... ومن بزوه في الحب
أهم أحفاد من ساروا ... بذاك المنهج للحب؟
ومن ذبوا عن الاسلام ... قبلاً - أيما ذب؟^{٦٢}

لذلك يشكوهم الشاعر، ويتألم منهم، ولكنه أثر السلامة منهم:

قالوا: وصاحبك الذي وكلته ... أتراه كفنأً بالمهمة كافيأً؟
نخشى تحيزه إلى أهوائه ... وبأن يكون لهن فيك مواليا
من قال إن الشعر ينصف ربه ... من جاءه منهن يوماً شاكيا
فاجبتهم إنني به مستوثق ... ولئن يرا متعاطفاً ومحابيا
فإذا عجزت، وما أظنك عاجزاً ... فأشر عليّ بما تراه مواليا
وأنصر أخاك فإنه في مأزق ... وبحيرة من أمره هي ماهيا!^{٦٣}

يوصف الشاعر الناس بالقاسية قلوبهم مثل الحجارة والحديد، وطبعهم المتغير في كل الأحوال جوى مستحدث، وهوى جديد، ولا يعرفون ما يريدون أو ماذا يريدون:

وبعض الناس تحكهم قلوب ... قساوتها الحجارة والحديد
وبعضهم له في كل يوم ... صدى مستحدث، وهوى جديد
وبعضهم يريد وليس يدري ... ولا هو مدرك ماذا يريد
هموا بدأوا قطيعتها منهم ... أتى النكران، واحترام الجود
فلم تأبه، ولم تأسف عليهم ... فذلك ليه ينقص أو يزيد!^{٦٤}

لذلك يشكوهم المشاعر، ويتألم منهم، لأن بطبعهم النكران والجود، لذلك لا تعتب عليهم ولا تأسف عليهم فكل ذلك سواء.

وهو يرى أن الناس تتفاوت في المواهب والعقول، وأن الحظ لا يحالف النابهين فيقول:
وأن الناس اشباه ولكن ... تفاضلت المواهب والعقول
ودنيانا التي هي نحن منها ... نصيب النابهين بها قليل
وأن العمر بالأعمال يحصى ... فماذا حين يقصر أو يطول؟
وسعت الناس بالأخلاق لما ... تعذر ما يرضن به البخيل!^{٦٥}

٦. القلب:

يجسد الشاعر قلبه، ويصوره طفلاً يلهو ويحلم بالمحال، فهو يعشقه يعنفه، على أن ينتهي عن الجري، وراء الحسان:
المشاعر الموهوب طفلاً - دائماً ... نزق بلا جدار، بلا إشفاق
يلهو ويحلم بالمحال - ومرة ... ينشئ مجال الفارس السباق^{٦٦}
فهو لا يقوى على إخفاء مشاعره وآلامه، لأن قلبه لا يطاوعه، وكل مشاعره تنتضح في عيونه فيقول:

^{٦٢} ديوان الرسم من الذاكرة، ص ١٦٣-١٦٤.

^{٦٣} ديوان الرسم من الذاكرة، ص ١١٣-١١٤.

^{٦٤} الرسم من الذاكرة، ص ٦٨.

^{٦٥} الرسم من الذاكرة، ص ٢٣٢.

^{٦٦} الرسم من الذاكرة، ص ٩٦-٩٧.

يا حلوة العينين أنت قصيدة ... كتبت على الأجنان والأفاق
بك، لا يغيرك قد شغلت فطالعي ... ما في ضميري، الآن في احداقي^{٦٧}
ويصور الشاعر قلبه رمزاً لأنسان مرشد له والسابق له من أموره:

يكاد القلب يسبقني ... إلى لقياهما جرياً
أجدد في شبابهما ... شباباً بات منسيا
وأقرأ في كتابهما ... كتاباً كان مطوياً
وإني في شؤونهما ... أضعت الرشد والغيا
ولستُ بمالكِ قلبي ... إذا ما قال لي: هيا^{٦٨}.

ويصف قلبه في عشقه وتعلقه بمعنى أحب واحاسيسه المكابرة فيقول:

إني عشقت فماذا أنت صانعة؟! ... بما شق قلبه في حبكم علقا؟
وأرى أحاسيسه حيناً -مكابرة- ... حتى كشفت له يا حلوتي الورقا
أعدتني لشباب العمر ثانية ... وكنت نفضت عنه الزهر والورقا^{٦٩}
وهو لا يقوى على إخفاء مشاعره في الحب فيقول:

من ذا سيعذل أهل القلوب ... إذا هم يمكنونهم ترجموا؟
ومن ذا يعاقب أهل الهوى ... إذا اقتربوا وإذا سلموا؟^{٧٠}

وقد يطلب من قلبه الاستسلام والرضا بالواقع بعد أن كبر ومضت به السنون، لأن للشباب شعلة ووقدة بالقلب والتقدم
بالعمر له هيبة لا تحتمل هوى قلبه، ففي قصيدة (اعتزال) يقول:

ولي قلب كقلبك حين تبدو ... كعاب في تخاطرها دلال

فيوشك أن يغادر من ضلوعي ... ويوشك أن يشب به اشتعال^{٧١}

فالشاعر في تجسيده لقلبه ومخاطبته له وحواره معه، يأخذنا إلى الشاعر إلياس أبو شبكة الذي جسد خيالاً تراءى له،
وكانه "جزء له يحاوره، ويظهر له فلسفة الألم، وما خفي عليه من معاني الحياة"؟

من ليس يبكي في الليالي الطوال

ولا يدني المقلة الساهدة

من لم يذق الخير طعم الألم

وتسلخ الأوجاع منه حطم^{٧٢}.

مع ملاحظة أوجه الاختلاف بين الشعارين والنصين، فلكل وجهته وأسلوبه، ولكل فلسفته ورؤاه، فالشاعر حسن
السوسي يبدو قلباً يحمله بين اضلاعه، يحسه ويستشعره، وعندما أشتد به ألم الهوى جسده ليخفف عن نفسه، لكي ينقل
إلينا تجربته الشعرية؛

^{٦٧} الرسم من الذاكرة، ص ٩٧.

^{٦٨} الرسم من الذاكرة، ص ٥١-٥٢.

^{٦٩} الرسم من الذاكرة، ص ٧٤.

^{٧٠} الرسم من الذاكرة، ص ٧٨.

^{٧١} الرسم من الذاكرة، ص ١٣٥.

^{٧٢} إلياس أبو شبكة، إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م، ص ٥٩.

ليعبر من خلالها عن استسلامه للواقع، وأن العمر قد مضى به، بينما الشاعر إلياس أبو شبكة يحاور خيالاً من صنعه، لا يراه ولا يحسه، ليضمنه فلسفته ورؤاه في الألم والحياة، ونقطة الالتقاء بينهما في محاورتهما لما لا يحاور. لذلك فشكواه هي نتاج واقع فرض عليه، فشكواه من الوطن نتيجة الغربة وسوء المعاملة، ولدت لديه إحباطاً انعكس على شعره، والمشيب كان الحد الفاصل بين ماضي متعلق به، محب له، وحاضر يراه غريباً عنه جداً، أبعد عنه كل ما تهوى نفسه والمرأة هي ما يهواه فهي الداء والدواء، والذكريات من ماضيه تحمل صورة جميلة ورائعة للشباب مملوءة بالحيوية، وهو يشكو الناس لأنهم سبب أحساسه بالألم لنكرانهم وجودهم، مما يصعد في أحساسه بالألم والشكوى، وقلبه الذي لا يزال شاباً غير معترف بالزمن وحدوده الفاصلة.

ثانياً: التوقع "الحلم":

الحلم الرؤيا وهو ما يراه النايم^{٧٢}، وليس المقصود هنا بالحلم "حلم الليل"، فهو لا يحقق حاجة الشاعر وأمانيه^{٧٤}، ولكن المقصود آمال الشاعر التي تجسدت في قصائده الحوارية، فالحياة لا بد أن تكون حلماً، ففي الحلم يجد الشاعر ملاذة وخلصه، وبالحلم يستمسك طوقاً من النجاة يتشبث به، وإذا لم يجد حلمه، نراه يصنعه من نسج خياله، ليتعرف على الحياة بواسطتها^{٧٥}.

فيستحضر الماضي ويحققه في أحلامه، حيث تختلط الأزمنة وتلغى المسافات ويتحقق المستحيل ويتيسر العسير^{٧٦}.
ويجد الشاعر في الشعر أرضاً خصبة يزرع فيه أحلامه، فتتمو في صور شعرية تحاكي رغباته المكبوتة، وتليها ويعبر بها عن آماله وآلامه^{٧٧}.

ويلوذ الشاعر بالحلم هرباً من ضباب الواقع^{٧٨}، والفوز بالحلم لا يبلغه إلا الذين نفروا من وحشة الحياة. والشاعر حسن السوسي معنى بالحلم، فقصائده أحلام يقظة ينسجها من خيوط آماله المكبوتة في اللاشعور^{٧٩}، فقد وردت كلمة حلم في العديد من قصائده في اغلب دواوينه، فكان حلمه التعلق بالوطن والمتعلق به وآخر بشعره والمرأة والطبيعة والماضي وذاكراته والقدر، والعمل الإبداعي عندما يكون ممزوجاً بعواطف المبدع ومشاعره يزيد من قيمته وروعته:

عليك أوقفت أشدائي وأشعاري ... وفيك قيدت آمالي وأوطاري
فأنت نكهة أيامي وبهجتها ... وأنت طيب عشياتي وأسحاري
يا حلوة ملأت قلبي بروعتها ... وأوغلت في شرابي، وأفكاري
إلا لحسبك ما غنيت أغنية ... ولا أشرابت مزاميري وأوتاري
فأنت هو موحيتي إن قلت قافية ... وفيك سكة أحلامي ومشواري

بعض الحسان وان اغرت ملامحها ... عيني، يصغرها من القلب منظاري^{٨٠}

في تلك الأبيات خلاصة أحلام الشاعر التي تراوده، فالإبداع في الفن هو ما يشغله، لأنه بالإبداع يضمن الخلود لنفسه ولمن يحب.

^{٧٢} ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

^{٧٤} انظر الصائغ: عبد الإله، الصورة الفنية معياراً نقدياً، دار القاندي، دت، ط١، ص ٢٢٥.

^{٧٥} الجابري، محمد صالح، الشعر التونسي، ص ٥٩٨.

^{٧٦} الصائغ، عبد الإله، الصورة الفنية، ص ٢٧٥.

^{٧٧} نفسه.

^{٧٨} انظر الميسر، محمد موسى، الوعي بحركية الزمن، ص ٢٨١.

^{٧٩} هلال، محمد غنيمي، النقد الأدبي الحديث، دار للعودة لبنان، ١٩٨٧م، ص ٣٧٠.

^{٨٠} ديوان الرسم من الذاكرة، ص ٧٩.

١. الحلم والوطن:

يرأود الشاعر حلم، أو يوقف الحب لبلاده، أراد أن يحققه في قصيدة يبث فيها ذاك الحب الكبير لوطنه يقول:

ليس الولاء لأنه وطن ... قد كان يطعمني ويسقيني

لا.. بل لأن ولاءه خلق ... في فطرتي وهواه كالدين

لأنه مثل العقيدة في ... خلدي، تمر به شراييني

لأنه شيء أقدس ... لا لقمة إن جُعتُ تكفيني

وأراه معنى حين يبصره ... غيرى ملاك الماء والطين

ولأنه ذاتي فلست أدرى ... معنى لذاتي حين يجفوني

سيظل شيئاً لا أقيمه ... إلا بما حملت شراييني

وأرى مساوئه - إذا وجدت ... حلماء، والأحلام تعينني^{٨١}.

ويقول في المؤتمر الحادي عشر للأدباء العرب منشداً وحدة العرب والحال التي آلت إليه:

أنعشت بالأحلام روض مشاعري ... وملأت الأمل الضحوك سمائي

ماذا أقول؟ وكنت أعذب غنوة ... حلمت بها قيثاره الشعراء

نسر العروبة صار غير معلق ... فأضاع درب القمة السماء

فهنا جناح خائر متضعع ... وهنا جناح ناء بالأعباء

ردي شريط الذكريات لتعرفني ... عزم الجهود وهمة الآباء

إن الذين على الوثائم عهدتهم ... طلوعوا على الدنيا بألف لواء

غزوا بوحدتهم فلما فرطوا ... فيها، غدوا عبثاً على الدخلاء

قلبي على أمجادهم وتلهفي ... مما ألم بهم من الأعداء^{٨٢}.

إن حلمه وأمله هو حلم أمة وأملها، فيمني نفسه بمستقبل رائع تتحقق فيه أحلامه وآمال العرب:

سئم الناس ضجة الحرب والضرب ... وذاقوا وبالها ألوانا

فاملأ الأرض رحمةً وسلاماً ... واجعل الناس - فوقها - إخوانا

إذا استطعت وحد العرب حتى ... لا يكونوا - على المدى - وحدانا

فعسى أن تكون يميناً على الأرض ... وأن تمنح الأمام الأمانا^{٨٣}.

ويفر الشاعر أحياناً من واقع مليء بالألام فيغرق من أحلامه وحبه لوطنه، وهذا الحلم متصل بالماضي متطلع للمستقبل

فيقول:

لأنه كان يطعمني ... ولأنه قد كان يكسوني

ولأنني لثراه منتسب ... وبأرضه بسقت أفانيني

ولأن لي في أهله نسباً ... وعشيرة - إن خفت - تحميني

وجب الولاء له عليّ بما ... قد كان يؤثرنى ويوليني

لأنه مثل العقيدة في ... خلدي، تمر به شراييني

^{٨١} الحان ليبيية، ص ٧.

^{٨٢} الجسور، ص ٤٩-٥٦.

^{٨٣} تقاسيم على الاوتار المغربية، ص ١٢.

لأنه شيء أقدس... لا لقمة ان جعت تكفيني

ولأنه ذاتي فلست أرى... معنى لذاتي حين يجفوني^{٨٤}

تمثل حياة الشاعر حتماً كبيراً يحتضن فيه وطنه ويفتخر بقديمه، ويعلي من شأن حديثه ويسعى ليرتقي به، كذلك حبه وأخلاصه لوطنه يدفعه إلى أن يعطى بدون مقابل ويبدل كل شيء في سبيل رقيه بدون انتظار المكافآت من أحد، فهو يرى محاسنه من خلال أشعاره وويصوغها ألحان وأنغام في دواوينه.

٢. الحلم والمرأة:

تتقاسم المرأة مع الوطن وأحلام أخرى أحلام الشاعر، فالحلم ترجمة لل رغبات المكبوتة في عالم اللاشعور^{٨٥}، ويستحضر الشاعر في حلمه الحبيبة فيقول في قصيدة (أنت هي) يقول:

عليك أوقفت أشدائي أشعاري... وفيك قيدت آمالي وأوطاري
فأنت نكهة أيامي وبهجتها... وأنت طيب عشياتي وأسحاري
يا حلوة ملأت قلبي بروعتها... واوغلت في شرابيني، وأفكاري
إلا لحسنك ما غنيت أغنية... ولاأشرايت مزاميري وأوتاري
فأنت موحيتي أن قلت قافية... وفيك سكة أحلامي ومشواري^{٨٦}.

إنه يحلم بحب المرأة التي يرى فيها نكهة أيامه وبهجتها، والتي تملأ قلبه بروعتها، والتي تلهمه بالتغني في أشعاره، وهي فتاة أحلامه التي ينشدها.

وللشاعر حسن السوسي طرق عدة في صياغة أحلامه، فإما أن يكون الحلم حاضراً، ماثلاً أمامه، وإما أن يعود إلى الماضي، ليصوغ منه حلم الحاضر أو يصور ما ليس موجوداً، ليستشرف المستقبل من خلال الحلم.

أحسست أنك قد ملكت مشاعري... وبأن حبكي غاص في أعماقي
وقد صرت همي.. في الحياة.. وشاغلي... من يوم أن اشرفت في أفقي
أني سحرت بمقلتيك ورقيتي... في المبسم التائق البراق
لما جلستُ إليك كنت مسافراً... في عالم الحلم الربيع الراقي
أرنو فتذرع مقلتي مساحة... خضراء من زهر ومن اشراق
اتنفس الأطياب في أنفاسها... واعب "ما شاءت" من الأعباق
متمنياً لو ضرت من أظافها... وخبرت طعم مذاقها بمذاقي
انعشني، وبعثت أيام الصبا... في جانبي فزهرت أوراق
الشاعر الموهوب طفل دائماً... نرف بلا حذر.. بلا إشفاق
يلهو ويحلم بالمحال.. مرة... يغشي مجال الفارس السباق^{٨٧}.

فمن أحلام الماضي أن نرى الشاعر يتذكر حبيبته، ويبدو أنه يريد أن يتناسى واقعه فيبني حاضراً جميلاً حتى وإن كان وهماً أو حتماً.

حبيبتي ان تأت عني وإن بعدت... فما نأى طيفها عني ولا هجرا
حملتها في حنايا أضلعي حتماً... وحنيتها في مرايا خاطري صوراً

^{٨٤} الحان ليبيية، ص ٦-٥.

^{٨٥} هلال، محمد غنيمي، النقد الادبي الحديث، ص ٣٧٠.

^{٨٦} ديوان الرسم من الذاكرة، ص ٧٩.

^{٨٧} الرسم من الذاكرة، ص ٩٦-٩٧.

إذا ذكرنا سواها -مرة- عرضاً ... فهي التي قد عنيناها بما ذكرنا
كانت رفيقة دربي إذا طارحها ... بثي، وشدودي، والأحلام والفكر^{٨٨}.
ونرى لحلمه لوحات قصصية حوارية بينه وبين المرأة فيبدأ مرة الحوار أو تبدأ هي الحوار موجهة أحياناً إليه العتاب
والتهم فيقول:

وحان وقت رحيلي فالتفت لها ... وقلت: إني غداً في الصباح مرتحل
قالت: أفنشغل عني، تاركني؟ ... فقلت: مشكلتي في أين انتقل
قالت: فهيا بنا نمضي، فقلت لها ... تمهلي ريثما تخلو لنا السبل
قالت: وقد عرفت قصدي معاتبه ... نبقي.. أمن صحبتي ينتابك الخجل؟
فقلت: لا تحملي قولي على غلطٍ ... ولا تظني بأني عنك منشغل
فعلقت بسمة صفراء باهتةً ... في الثغر لا فرح فيها، ولا جدل
وفاجأتني، ولم تمهل بقولتها ... صفتي، فحسني -كما شاهدت- مكتمل^{٨٩}.
ومن ضمن أحلام المستقبل الشاعر بأن يهني حبيبته بمناسبة العام الجديد:

كل عام وأنت يا حلوة العيد ... نين ملء العيون ملء المسامع
كل عام ونجم سعدك يعلو ... ظاهراً يمنه على كل طالع
كل عام وأنت ثغر وضيء ... مشرفٌ باسم، زوجة ساطع
كل عام وأنت لحن شجي... تتغنى به الطيور السواجع
كل عام وأنت حلم توخاه ... وتغفو له العيون الهواجع
كل عام وأنت أنت كما أنت ... شباب غصن، وحسن رائع
كل عام وأنت أنت كما أنت ... أمان تحنو عليها (الأضالع)
عدت يا عام، ألف أهلاً وسهلاً ... أيها المقبل السعيد الطالع
لو تمنيت فيك بعض الأماني ... وتكفلت لي بما أنا طامع
لتمنيت الذي فقد القلب ... ضميراً يهزه في المجامع^{٩٠}

وإذا كان الشاعر حسن السوسي قد اتخذ من الأحلام صوراً لأمانيه وآماله، فإن الشاعر رشيد أيوب قد اتخذ من الأحلام
وسيلة يستمتع في صفائها بما ينسج من خياله من عوالم رحبة طليقة:

حتى إذا ما نام هذا الجنان ... لحقت أحلامي بقصري البعيد
إذا التقى بالنفس حول الجنان ... فالنفس مازالت على عهد^{٩١}.
أما أحلام الماضي أن نرى الشاعر يسرد لنا حبه في صباه، وكأنه يحلم، ويريد أن يتناسى واقعه، لكي يعيش مع
أحلامه، فيبني لنفسه حاضراً جميلاً، وإن كان وهماً وحلماً:
قبلتها عند المجمع صدفة ... فكأنما كنا على ميعاد
تلك التي سكنت خيالي حقة ... وتسربت في مهجتي وفؤادي

^{٨٨} تقاسيم على أوتار مغربية، ص ١١٦-١١٧.

^{٨٩} تقاسيم على أوتار مغربية، ص ٥٥.

^{٩٠} الجسور، ص ٧٠-٧١.

^{٩١} رشيد أيوب، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

قد كنت أخفي ما يجول بخاطري ... عنها واكتم لوعتي وسهادي
عشرون عاماً وهي مازالت كما ... هي حلوة في أعين النقاد
شاهدتها.. فذكرت حين رأيته ... عشرين كالأطوار، كالآماد
عادت بي الذكرى إلى زمن به ... ماكنت أملك في الأمور رشاد
بعثت بي الشوق القديم وأيقظت ... صبوات عمري من عمق رماد
نورا ويأتلق الوجود بنورها ... ويعربد الوجدان بعد كساد
كم حلوة من قبلها أو بعدها ... أو ليتهن محبتي ووادي
لكنها هي وحدها من أوغلت ... بدمي، ومن ملكت عصى قيادي^{٩٢}.
ويعيشه الشاعر مع أحلامه وآماله دون تحقيقها:

أتيت ألهمت شوقي لا حدود له ... إلى لقاء الالى كانوا على البال
فلم أجد غير أوراق ومحبرة ... وغير آثار أعمال وأشغال
لم اعد أغنى إذا لم يحضروا والمرء ... اشكو تباريح اشواقي واحوالي
إني أسجل أني جئتمكم وكفي ... وأنني عدت ما حققت آمالي^{٩٣}

٣. الحلم والشاعر والشعر:

يرافق الحلم الإنسان على مدار حياته، فهو دائم التطلع إلى المستقبل ومتعته الكبرى في ارتياد المجهول والكشف ما وراء الحياة، وربما قابل الشاعر الفشل في ماضي حياته، ومبحر في شعره وأحلامه لا يبالي بالنهايات والفشل:
بلهفة العاشق الموعود تحملني ... عواصف من حنيني واشتياقاتي
مسافر في العيون النجل مرتحل ... ومبحر لا يبالي بالنهايات
معودات على الإيغال أشرعتي ... مدربات على الارقال ناقتي
فكما لاح وجه مشرق جدل ... حططت رحلي أو القيت مرساتي^{٩٤}
فهو يحلم أن يجد مرسى؛ لكي يحط من رحلاته البحرية في مغامراته الغرامية، وكثيراً ما يشارك الشاعر أحلامه فيوجه إليها حديثه:

ولو أتيتك والدنيا مُواتية ... بصبوتي، وشبابي، وانفعالاتي
لكان لي فيك شأن كم حلمتُ به ... وكان لي منك ما يرضي طموحاتي
لكن أتيناك والأيام مدبرة ... ونحن انضاء أسفار ورحلات^{٩٥}.

نلاحظ أن الشاعر دائم التطلع إلى ما وراء الحياة وارتياد المجهول بخياله، ويسافر الحلم بالشاعر إلى مسافات بعيدة غير معروفة النهاية، ويبقى الأمل والحلم يسكنان الشاعر ويلازمانه فيقول:
وكم حلمنا بفوز التيك ينفحنا ... أحلى الصباحات أو أندى المساءات
وحولنا من بنيك الغر كوكبة ... هم النجوم تجلت في الرجفات^{٩٦}.
إنه متفرد بالحلم، حيث يجسد فيه آماله وطموحاته، فهي المكان الأنسب لتجسيد خياله بألوان الواقع.

^{٩٢} الرسم من الذاكرة، ص ٩٩-١٠٠-١٠١.

^{٩٣} الرسم من الذاكرة، ص ٤٩.

^{٩٤} ديوان الحان ليبيبة، ص ١٥٨.

^{٩٥} ديوان الحان ليبيبة، ص ١٥٩.

^{٩٦} الحان ليبيبة، ص ١٦١.

ويسافر الحلم بالشاعر الى أفق عالية جداً ويقصيه بعيداً بسبب غروره:
يا من نقشت في ذاكرتي
إني أحياناً أحلم.. يا
أني انائي عن دائرتي
وأطلق في أفق عالٍ حداً
ومجال يقصيني بعداً.
وهناك حين يثوب الرشد
إلى.. وإذ القى الرشداً^{٩٧}

ونستطيع أن نلمس إلحاحه على رغبته في الوصول إلى مراده من الحياة من خلال أحلامه وأشعاره:

أنعشت بالأحلام روض مشاعري ... وملأت بالأمل الضحوك سمائي

عقدت مفاجأة اللقاء سلاستي ... فوقفت مثل الدمعة الخرساء

ماذا أقول؟ وأنت أعذب غنوةٍ ... حلمت بها قيثارة الشعراء^{٩٨}.

يا ليت شعري خلف جفحك مقلة ... أم خلف جفحك موجة وشرع

فما لاح لي وجه جميل مشرق ... إلا وعربد في الضلوع صراع

وأنا المسافر في العيون ومركبي ... يلهو بها الانساء والأفلاع

قدري مصاحبة البحار فمرة ... أطفو.. وحيناً يحتويني القاع

لا أستقر على مرافئ شاطئ ... أبداً.. فعمري غربة وضياع^{٩٩}

يرأوده حلم أن ينظم شعراً رائعاً، فهو مغامر في أشعاره إذا ما ظهر له وجه جميل مشرق، وهو المسافر في العيون، ومركبه يلهو بدون إرساء ولا إقلاع، وقدره مصاحبة البحار المضطربة التي لا تستقر على مرافئ الشواطئ أبداً، وعمره كله غربة وضياع.

٤. الحلم والطبيعة:

عشق الشاعر الطبيعة ودأب على تأملها والغوص في أعماقها، فانبثق حلمه من تأملاته، ورسم أحلامه بألوان الطبيعة المشرفة فهو يوحد بين حلمه والطبيعة، ولا يعمد الشاعر الى وصف الطبيعة في حلمه وتصويرها تصويراً واقعياً، إنما يؤلف قصصاً حوارية، يجسد فيها أحلامه ورؤاه:

ماذا أقص عليك في عيد النهى ... ومواسم الأنعام والأضواء

إلاً حديثاً ضاحكاً متهللاً ... طلقاً.. كبوح الروضة الغناء

وأرق من نفس الربيع على الربا... وتناغم الأطيوار بالأشياء^{١٠٠}.

وهو في ذلك الانكفاء على مجالها يشبه الشعراء الرومانسيين، إذ نراهم يتغنون بالروض وغيره من مظاهر الطبيعة، فالأخطل الصغير يتغنى بالروض ولكنه لا يقرنه بالمرأة:

سكر الروض سكرةً صرعته ... عند مجرى العبير من نهديك

^{٩٧} تقاسيم على أوتار مغاربية، ص ١٧.

^{٩٨} ديوان الجسور، ص ٤٩.

^{٩٩} الحان ليبيية، ص ١٧١-١٧٢.

^{١٠٠} الجسور، ص ٥١.

قتل الورد نفسه حسداً منك ... وألقى دماءه في وجنتيك^{١٠١}.

إن الشاعر بتصوير الطبيعة يهدف إلى التعبير عن مشاعره وبث أفكاره ورؤاه بطريقة يبتعد فيها عن المباشرة في صوغ أحلامه، فالروض مكان جميل وسكن فيه راحة وسعادة، والطبيعة دائماً ممزوجة بالسعادة والحب فيقول:

حسبي من الايام أنك عدت لي ... عود الربيع الطلق بالأشياء
أنعشت بالأحلام روضي مشاعري ... وملأت بالأمل الضحوك سمائي
ماذا أقول؟ وأنت أعذب غنوة ... حلمت بها قيثاره الشعراء^{١٠٢}.

ويقول:

قد مال غصن الربى واهتز نشوانا ... لما هتفت بهذا الشعر جذلانا
تلقتك عنك طير الأيك أغنية ... سكرى فأسكرتنا اشدوا وألحانا
ألقيته فسرى في الكون زغردة ... يصغي لها الناس أفواهاً وأذانا
يمر بالسمع في لطف النسيم وإذا ... سرى فداعب أغصاناً وأفنانا
وربما ثار إعصاراً وعاصفة ... وربما اهتز زلزلاً وبركاناً^{١٠٣}

إن الشاعر بتصوير الطبيعة يهدف إلى التعبير عن مشاعره وبث أفكاره بطريقة يبتعد فيها عن المباشرة، فالطبيعة ممزوجة بالحب والشدة والألحان كما أنها لطف النسيم يداعب أغصانها. فهي كذلك أعصار وعواصف وزلازل وبركان، فالطبيعة مدرسة يحلم أن يتعلم فيها الشاعر ترويض نفسه وتقلباته النفسية في أمور حياته.

ويقول:

أنا طارق الحب المغامر المبحر... في مقاتيك فأمني مينائي

نظراتك الحيرى تضلل زورقي ... فأظل بين تخوفي ورجائي

فهما يبجر هو اجسي وخواطري ... شط الأمان، ومرفأ الإرساء^{١٠٤}

وهنا يستقي الشاعر من الطبيعة في التعبير عن تجربته الشعرية (بالبحر) فهو يشبه نفسه كأنه في زورق قد ضل في البحار ولا يعرف شط الأمان ومرفأ الإرساء فهو مغامر ومبحر في عيون حبيبته وهما الميناء. والطبيعة ممزوجة بالحب حتى أن بحارها مصدر الهام لدى الشعراء في تجسيد معاناتهم والتعبير عن أحاسيسهم.

٥. الحلم والقدر:

يطلق الشاعر العنان لأحلامه؛ ولكنه يقر بالاستسلام للقدر الذي لا مفر منه فنقول:

فلمن أشكو بثي منها ... أو من سينوء بأوقاري

إني عصفور دوري ... سأقتني نحوك أقداري

فأعوذ بحسبك سيدتي ... من هذا الجفن الجزار^{١٠٥}

ويقول:

للآخرين الفعل في أقدارهم ... ولهم همو التقنين والتنظير

^{١٠١} الأخطل الصغير، إيليا الحلوى، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٩٨١م، ص ٤٥.

^{١٠٢} الجسور، ص ٤٩.

^{١٠٣} الحان ليبيبة، ص ٨٣-٨٤.

^{١٠٤} الجسور، ص ٥٢.

^{١٠٥} الرسم من الذاكرة، ص ٤٧.

قلنا لهم كونوا بدأً فتفرقوا ... في كل شعب راية وأمير^{١٠٦}
ويرى الشاعر أن الأقدار هي التي تختار للإنسان المصير فيقول في قصيدة (مواساة):
ولولا أنها كانت خياراً ... وأن مقام حضرتها كريم
لما اختارت لها الأقدار مثوى ... هنالك حيث زمزم والحطيم
وحيث سحائب الرضوان تثرى ... ويشرق بالسني الليل البهيم
فمنزلتها - مع الأبرار - عدن ... ومثاها - مع النخب - النعيم^{١٠٧}
وهو في استسلامه للقدر وإيمانه بأن الأقدار هي التي تختار للإنسان ويختلف عن أبي القاسم الشابي الذي رأى في
القدر ألد خصومه فعمل على تحديه:

وأقول للقدر الذي ينثني ... عن حرب آمالي بكل بلاء
لا يطفئ للهبب الموجج في دمي ... موج الأسى وعواطف الأرزاء^{١٠٨}
والشاعر يرى أن الحوادث هي التي تفرق البشر وهي شبيهة بالأقدار التي هي من قضاء الله ليس له مرد ولا رادع:
تفرقنا الحوادث والليالي ... ويجمعنا بها حب وود
بكتك بدمع شر ولكن ... قضاء الله ليس له مرد
وأن المرء في دنياه ضيف ... سيرحل أو متاع مسترد^{١٠٩}.
ويجزم الشاعر بأن الحرص لا ينتفع لصاحبه ومواجهة القدر المحتوم فيقول:
أرداك الحرص أم القدر ... ورماك الحين أم البطر؟
والحرص مغرر صاحبه ... من مأمنه يؤتى الحذر
والمرء رهين مقدره ... إن حان فما يغنى وزر
حرسيك في غدارته ... لك يكمن حتفك والقدر
وحفظيك من يده انطلقت ... ست.. أو سبع لا تذر
أردتك وكنت معلقة ... أملاً.. ليطول بك العمر^{١١٠}
ويقول في القدر المحتوم الذي ليس للإنسان المفر منه:

قدر رمى بي في طريقك ... أو رمى بك في طريقي
سيان.. أني قد غصصت ... لهول موقفه بريقي
لكن لطف الله قد ... إلي بالسبب الوثيق
فنجوت.. لكنني وقعت ... وقعت في حرج وضيق^{١١١}
ويرى الشاعر أن القدر مباحثاً للمرء ويأتي فجأة لا يخطر على البال:
أتيت يا قدرتي عفواً فألف (اهلا) ... بزورة لم تكن - يوماً على بالي
أحلى اللقاءات ما يأتي مصادفةً ... وأعذب الوصل لم يعلن بمرسال^{١١٢}

^{١٠٦} الرسم من الذاكرة، ص ٢٠٥.

^{١٠٧} الرسم من الذاكرة، ص ٢١٠-٢١١.

^{١٠٨} كرو، أبو القاسم محمد، آثار الشابي وصداه في الشرق، المكتب التجاري للطباعة، بيروت، ١٩٤١م، ص ١٠٩.

^{١٠٩} الرسم من الذاكرة، ص ٢٢٣.

^{١١٠} الجسور، ص ٨٩-٩٠.

^{١١١} الحان ليبية، ص ١٣٥.

^{١١٢} الحان ليبية، ص ١٨٦.

ويقول في قصيدة (إيمان):

أدمنت في تقديس الجمال وحبّه... فكأنه قدر من الأقدار^{١١٣}.

٦. الحلم والماضي:

يعيش الشاعر في حلمه باستحضار الماضي وبث الحياة فيه فهو يستدعي الماضي كلما أعياه الحاضر وأربكه بأسئلته:

إن تسألوني.. لماذا يحتفي قلبي ... ببعضهن فإن الأمر كالإتي

فهم إلهام شعري حين أكتبه ... فهن وقدة روعي، واختلاجاتي

فتلك أوحى به -منهن- مقلتها ... وتلك أوحى به لطف الإشارات^{١١٤}

وقد يتغير الحلم بتغيير الأيام والليالي، فيصير أطلالاً وذكرى للماضي:

إني أتيت كما يأتي المحبوبا ... بالبشر والشوق والأحلام شحونا

أعيد فيك هنا ذكرى أحج لها ... في كل عام كما صرح الملبونا

أطيف بالنزل المعهود مقتبساً ... واستشف طيوفاً من أماسينا

ما أبلت السنوات العشر جدتها ... لكن أضافت لها ظلاً وتلوينا^{١١٥}

إن الأحلام نفحة الأمس التي تحيي اليوم، لذلك المرء يحتفظ بها ليعود إليها، لكي يستجير بها من حاضره ويعود إلى ذلك الزمن مسترجعاً ذكرياته التي صارت أحلاماً تروى حكايات وقصصاً:

كنا غريبين فيك الدرب جمعنا ... وقربت غربتنا في ندانينا

وألفت بيننا اللقيا هنا وهنا ... وصحبة لم تزل تحلو كما شينا

حتى جرى الحب في أعراقنا خيباً ... أذكاه فيها -ولم نشعر- تناجينا^{١١٦}.

ويرافق في أحلامه صوراً لأماكن حبة وعشقه، ربما لربط الماضي بالحاضر:

إنا أتيناك والأشواق تسبقنا ... فاستقبلينا بأشواق وضمينا

يا تونس الحسن يا خضراء يا حلماً ... من أعين العاشقين النسثاميتا

جنناك كم مرة طلاب منفعة ... ومتعة، والصب الممراح يحدونا

والآن جنناك نستشفى فقد وصفوا ... لنا مياهاك برءاً من مشاكينا

فهل تعيدين يا خضراء جدتها ... وهل تردين أشتات الصبا فينا؟^{١١٧}

إنه بتلك الأحلام والذكريات يسترجع الأمجاد والذكريات الجميلة:

جيراننا وبنوا أعمامنا وذوو ... أرحامنا بكمو نيطت أمانينا

أنا، وأنتم.. على نهج يقربنا ... من يوم وحدتنا الكبرى ويدنينا

فنحن أبناء هذا المغرب ألتحمت ... أجيالنا فيه، والتقت أيادينا^{١١٨}

^{١١٣} الرسم من الذاكرة، ص ٣٧.

^{١١٤} الرسم من الذاكرة، ص ١٣.

^{١١٥} تقاسيم على أوتار المغاربية، ص ١٦١.

^{١١٦} المصدر نفسه، ص ١٦٣.

^{١١٧} تقاسيم على أوتار المغاربية، ص ١٦٤.

^{١١٨} تقاسيم على أوتار المغاربية، ص ١٦٧.

صور الشاعر الحلمية التي زين بها قصائده تعكس حبه للحياة وإقباله عليها وعدم الاستسلام للشكوى والألم، إن الحلم هو الخيال إما نحن فحقيقة، فالشاعر لم يتخذ من لفظة حلم رمزاً أو قناعاً له، بالرغم من ورودها في قصائده، إنما اتخذ من الحلم وسيلة لبث أفكاره وتجاربه، "فالحلم أدواته للتعبير عن الواقع غير المرغوب فيه، ورسم صورة جميلة له خلال الحلم لتتنطق بما في نفسه، فكل صورة في الخلق الفني لها جذورها العميقة في عالم اللاشعور، وكل ما يدونه الشاعر ما هو إلا انعكاسات لأحلامه الحبيسة في عالم الشعور"^{١١٩}.

إن كل محور من محاور الحلم يمثل موقف الشاعر، فالحلم والوطن يرمز إلى شعوره بالانتماء وموقفه من قضايا الأمة العربية، والحلم والمرأة يمثل موقفه من الإنسان، والحلم والشاعر بمثابة رؤية الشاعر لذاته والحلم والشعر يمثل موقفه من الإبداع، والحلم والطبيعة يمثل فلسفة الشاعر التأملية، والحلم والماضي هو محاولة للهرب والفرار من الواقع واستحضار الماضي عن طريق الحلم بالتذكر، وربما هي محاولة لربط الماضي بالحاضر ووصله بالمستقبل. تلك رؤية البحث لتوقع الشاعر حسن السوسي وواقعه بحسب دواوينه، وقد وجد البحث أن الهم المركزي لشكواه وأحلامه هو المرأة، فلن تستطيع بأي حال من الأحوال أن تدير ظهرها لها، لأن الشاعر زرعها على ساحة نصوصه، فلا يمكننا أن ندرس جزءاً من الديوان دون ذكر المرأة.

^{١١٩} هلال، محمد غنيمي، النقد الأدبي الحديث، ص ٣٧٠-٣٧١.

الخاتمة

الحمد لله أولاً وأخيراً الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات الحمد لله الذي منح الصبر الإناة في إعداد هذه الدراسة المتواضعة التي نسأل الله تعالى أن تكون بكورة دراسات أدبية جديدة التي تثري بها المكتبة العربية اما بعد تناولت هذه الدراسة (الواقع والتوقع في شعر حسن السوسي) وفي طريقنا لتفصيل الشكوى عنده، التفتنا إلى عقد مقارنات بين مواضيع شكواه وشكوى غيره من الشعراء، بعد أن تحققنا من شكواه من الوطن، المشيب، المرأة، الناس، الذكريات، القلب، من خلال الشواهد واستقرأه الدواوين.

ففي الشكوى من الوطن، عرضنا لشكوى الشاعر أحمد رفيق المهدي من الوطن فوجدنا أن المهدي يشكو غربته عن الوطن وعصره الذاهب بعيداً عن الأهل والأصحاب، أما حسن السوسي يشكو غربة الإنسان العربي في وطنه، وتشرده وتفرق الأوطان العربية بدون وحدة قومية تجمع شملهم، فكان الشاعر أقوى وأشد مرارة من الشاعر الأول. أما الشكوى من المشيب، فنظراً لتناول أغلب شعراء العرب لهذا الموضوع جعلنا له مقدمة عرضنا فيها البعض ما جاء في أشعارهم من الشعر القديم والمعاصر، فعرضنا الشكوى الأعمى، وابن الرومي، والمتنبي والرصافي، والشاعر خليفة التليسي، ورأينا أنهم متفقون مع شاعرنا في بكائهم على الشباب والتحسر عليه، وإن اختلفت الطرق. ومن حيث الشكوى من المرأة عقدنا المقارنة بينه وبين الشاعرين خليفة التليسي وعمر أبو ريشة مع اختلاف اتجاه كل منهم عن الآخر، وكانت نقطة الاتفاق هي شكواهم من المرأة ومغالبتهم لفعل الهوى، وهو يشكو الذكريات، فيهرب منها وإليها، كما نجد ذلك جلياً عند مقارنتنا له بالشاعر المهجري رشيد أيوب الذي يهرب من غربته إلى ذكرياته، وقد قارنا بين تجسيده لقلبه، وتجسيد عمر أبو ريشة لخيال تراءى له، فالشاعر حسن السوسي يشكو قلبه، بينما عمر أبو ريشة يشكو إلى الخيال همه وألمه.

أما التوقع فهو الحلم الذي يعكس حبه للحياة، والأمل والتفاؤل الذي ملأ نفسه، فالحلم قهر الشكوى، والحلم هو أدواته للتعبير عن الواقع غير المرغوب فيه، ولم يتخذ الشاعر من الحلم رمزاً له، بالرغم من تكراره في قصائده، وإنما اتخذ الحلم وسيلة لبث أفكاره وتجاربه في قصائده، وقد رأينا أن كل محور من محاور الحلم، يمثل موقف الشاعر "فالحلم والوطن" يمثل شعوره بالانتماء، وموقفه من قضايا الأمة العربية، "الحلم والمرأة" يمثل موقفه من الأنسان، "والحلم والشعر والشاعر" بمثابة رؤية الشاعر لذاته، وموقفه من الابداع، "الحلم والطبيعة" يمثل فلسفته التأملية، "الحلم والماضي" محاولة للهرب من الواقع، واستحضار الماضي عن طريق الحلم بالتذكر، وربما هي محاولة لربط الماضي بالحاضر، ووصله بالمستقبل.

تناولت هذه الدراسة (الواقع والتوقع في شعر حسن السوسي) ، وكان الدافع الأول لها أن تناول بالتحليل شعر علم من أعلام الشعر الليبي الأوهو الشاعر (حسن احمد السوسى) ، وتسليط الضوء على جانب من شعريته في دراسة جادة معمقة من البحث والاستقصاء.

كما تهدف الدراسة إلى إلقاء الضوء على كيفية استخدام الشاعر . للطاقت الإبداعية واستطاق إيماءاتها التعبيرية، مع عقد مقارنة مباشرة مع بعض الشعراء.

ولطبيعة الدراسة الأدبية والتحليلية، فقد انتهجت الدراسة المنهج التكاملي الذي يأخذ من كل منهج يطرف المنهج الافضل ، وجاءت هذه (الدراسة في مقدمة ومبحثين وخاتمة .

أما المبحث الأول : تناولت الدراسة الواقع - الشكوى ما في شعر الشاعر بعد أن تحققنا من شكواه من : الوطن، الشيب، المرأة، الذكريات الناس ، القلب

وفي المبحث الثاني: تناولت الدراسة التوقع (الحلم في شعر الشاعر وقد رأينا أن كل محور من محاور الحلم يمثل موقف الشعر، فالحلم والوطن يمثل شعوره بالانتماء، وموقفه من قضايا الأمة العربية ، والحلم والمرأة يمثل موقفه من الإنسان، والحلم والشعر و الشاعر بمثابة رؤية الشاعر لذاته، وموقفه من الإبداع ، والحلم والطبيعة يتمثل فلسفته والتأملية، والحلم والماضي محاولة للهرب من الواقع، واستحضار الماضي عن طريق الحلم بالتذكر ، وربما هي محاولة لربط الماضي بالحاضر ووصله بالمستقبل.

المصادر والمراجع

- ١- آثار الشابي وحساه في الشروح، ابوالقاسم محمد كرو، المكتب التجاري للطباعة، بيروت، ١٩٤١.
- ٢- الاطفال الصغير، إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني - بيروت ط ٢ - ١٩٨١م
- ٣- إلياس ابو شبكة إليا الحاوي، دار الكتاب الليسانس بيروت ج٢ ١٩٨٠م.
- ٤- التجديد في شعر المهجر، أنس داود المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلام، ليبيا، طع، ١٩٨٠م
- ٥- ديوان ابن الروحي، حسين نصار، مطبعة دار الكتب الدار البيضاء ١٩٧٣ م
- ٦- ديوان خليفة محمد التليسي دار العربية للكتاب، ١٩٨٩ م. د. ط. ٨.
- ٧- ديوان عمر أبو ريشة، مجلد، دار العودة، ط. ١، ١٩٧١ م.
- ٨- ديوان المتنبي، دار صادر، بيروت، د. ط. دست.
- ٩- ديوان معروف الرصافي، دار العودة، بيروت، مجلد ١، ١٩٧٢ م.
- ١٠- ديوان نوافذ حسن السوسي، دار العربية للكتاب، ط ١- ١٩٨٧ م.
- ١١- ديوان الرسم من الذكرة، حسن السوسي، منشورات مجلس تنمية الابداع الثقافي في الجماهيرية، الطبعة ٢٠٠٤، ١ م
- ١٢- تقاسيم علي أوتار مغربية الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، ط ١، ١٩٩٨ م.
- ١٣- الجسور، حسن السوسي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، ط ١، ١٩٩٨م.
- ١٤- الحالة الليبية، حسن السوسي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، ط ١، ١٩٩٨م.
- ١٥- الرائد معجم اللغوي، جبران مسعود، دار العلم، ط ١، ١٩٨٩ م.
- ١٦- رشيد ايواب، دار صادرة بيروت، ١٩٥٩ م.
- ١٧- رفيق شاعر الوطن، خليفة التليسي، الدار العربية للكتاب ١٩٨٦ م ط ٢، ١٩٧٩م.
- ١٨- الزمن عند الشعراء العرب قبل الاسلام، عبدالاله الصائغ، عصمي للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ٣، ١٩٩٦ م.
- ١٩- سليمان الباروني آثاره، محمد مسعود جبران، الدار العربية للكتاب ليبيا، ١٩٩١م د. ط.
- ٢٠- شرح ديوان الاحشى الكبير، مناصر الحق، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٧، ١٩٩٢م.
- ٢١- الشعر التونسي المعاصر، محمد الصالح الجايري، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٤م، د. ط.
- ٢٢- الصور الفنية معياراً نقدياً، عبدالاله الصائغ، دار القاندي، د. ط.
- ٢٣- الصور الرمزية في الشعر العربي الحديث، خليفة التليسي، نموذجاً، نجاه عمار الهمالي، ٢٠٠٤ م.
- ٢٤- عمر بوريشة، ليبيا الحالوي، دار الكتاب اللبناني، ط ١، ١٩٨١م.
- ٢٥- قضية الزمن، فاطمة محجوب، دار المعارف بمصر، د. ط. د. ت.
- ٢٦- لسان العرب ابي الفضيل جمال الدين م مكرم من منظور، دار صادر بيروت، ط ١، ١٩٩٠م.
- ٢٧- مجلة الفصول الاربعة، ع ٤٦، ٦٥، ١٩٩٣، ١٩٩٤ م.
- ٢٨- النقد الاجلى الحديث، محمد غنسي هلال، دار العودة لبنان، ١٩٨٧م.